316457 - هل الكفار لا تراودهم الوسوس أثناء عباداتهم الكفرية؟

السؤال

أنا أعاني من الوسوس في صلاتي والوضوء، وقد شاهدت لشيوخ يقولون : إن الوسوس لا تأتي إلا لشخص عنده إيمان كبير، وملتزم، وقد علمت أن هناك مسيحيون عندهم وسوس أيضا في دينهم، فكيف ذلك، وأن الوسوس لا تأتي إلا لشخص إيمانه كبير وملتزم؟

الإجابة المفصلة

غاية ما ورد في هذا الشأن هو أن بعض أهل الكفر أخبروا عن أنفسهم أنهم لا يوسوسون في عباداتهم؛ فبلغ هذا بعض أهل العلم ، ففسره بأن انتفاء الوسوسة عنهم لا يرجع إلى صحة معتقدتهم؛ وإنما هذا دليل على ضلالهم وأن الشيطان يعجبه عملهم.

فروى الإمام أحمد في "الزهد" (1433) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا جَرِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِلْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ: "إِذَا صَلَّيْتُ وَخَدِي لَمْ أَغْقَلْ صَلَاتِي؟ قَالَ: أَبْشُرْ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَمٌ مِنَ الْخَيْرِ، أَمَا رَأَيْتَ اللَّصُوصَ مَرَّوًا بِالْبَيْتِ الْخَرِبِ وَلَمْ يَلُؤُوا عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَرَّوًا بِالْبَيْتِ الَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ الْمَتَاعَ ، زَاوَلُوهُ حَتَّى يُصِيبُوا مِنْهُ شَيْئًا".

وأما كون أهل الكفر لا تتناهبهم مطلقا الخواطر والأفكار أثناء عباداتهم الشركية ؛ فليس هناك ما يدل عليه في أصول الشرع وأدلتها ، ولم نقف ، أيضا على من صرح بذلك من أهل العلم؛ بل المعقول أن ينتابهم ذلك؛ لأن الأفكار والخواطر أثناء التعبد على ضربين:

الضرب الأول: ما يوسوس به الشيطان لصاحب العبادة في عبادته، ويشوش به على المتعبد في عباداته؛ فهذا الأصل فيه أن يرد على صاحب العبادة الصحيحة دون غيره من الضالين؛ لأن الشيطان همه إضلال الناس لا إصلاحهم؛ فلذا يسعى للتشويش على من يريد الخير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا تُوبَّ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّشْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَحْطَرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ» رواه البخاري (1231)، ومسلم (389).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

” والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو غيره، لا بد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، ويلزم ما هو فيه من الذكر والصلاة، ولا يضجر، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان، (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا).

وكلما أراد العبد توجهها إلى الله تعالى بقلبه، جاء من الوسواس أمور أخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد يسير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه؛ ولهذا قيل لبعض السلف: إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس، فقال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب ” انتهى من “مجموع الفتاوى” (22 / 608).

وأما أهل الكفر فهم أولياء للشيطان، فهو يزين لهم ضلالهم، حتى لا ينصرفوا عنه؛ كما أخبر بهذا الوحي.

كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. الأعراف/27.

وقول الله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. النحل/63.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾. الأعراف/201 – 202.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

” وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي، ذنبا بعد ذنب، ولا يُقصر عن ذلك، فالشياطين لا تُقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القيادة لها، وهم لا يُقصر عن فعل الشر ” انتهى من “تفسير السعدي” (ص 313).

الضرب الثاني: خواطر وأفكار من الإنسان نفسه، نتيجة أعمال فكره، أو لعلة فيه؛ فهذه واردة على الناس جميعا، مؤمنهم، وكافرهم.

فالكاfer قد يُعمل عقله أثناء تعبده، فإذا كان صادقا في البحث عن الحق، لا بد وأن تراوده الشكوك فيما هو فيه من عبادات تعارض العقل السليم، ولذا يدخل في الإسلام من يدخل منهم من عامتهم ورؤوسهم لما يدركوا فساد ما هم عليه.

والكاfer تصيبه من العلل الجسدية والنفسية، ما يسبب له الوسواس والشكوك، كما هو الحال في الناس جميعا.

فالحاصل؛ أنه إذا صح القول بنفي الوسوسة عن الكفار؛ فإنما هو نفي خاص جدا، والمراد به: نفي أن يوسوس له في عباداته، بما يفسدها عليه؛ فعبادات الكفار الشركية والبدعية: باطلة من أصلها، فلا حاجة للشيطان في أن

يصرفهم عنها ، ولا أن يفسدها عليهم .

وأما وسوسة التزيين لضلالهم ، فهي حاصلة .

ووسوسة الصرف عن الإيمان ، وأعماله : فحاصلة ، لا إشكال في ذلك كله .

والله أعلم.